مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد السادس / العدد: الثاني
(جمادى الأولى 1444هـ/ ديسمبر 2022م)، ص 193– 216

السياسة العمرانية في منطقة حوض الشلف خلال العهد الاستعماري (1843–1962)

مدينة أورليان فيل نموذجا

Urban policy in the Chlef Basin region during the colonial era 1843-1962 - the .city of OrleansVille - as example.

missoum miloud ميسوم ميلود [2] ، **sahraoui salih** صحراوي صالح [1]

[1] جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف s.sahraoui@univ-chlef.dz

[2] جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف missoummimoud02@yahoo.fr

المؤلف المرسل: صحراوي صالح **الايميل**: s.sahraoui@univ-chlef.dz

تاريخ الاستلام: 23 /2022/07 تاريخ القبول: 04 /2022/10

الملخص:

بعد دخول القوات الفرنسية الى منطقة الشلف مع بداية الاربعينات من القرن 19م واحكام سيطرتها على اهم المدن فيها كمدينة مليانة ومدينة مازونة ومدينة تنس ،شرعت الادارة الاستعمارية في عملية انشاء تجمعات عمرانية من اجل استقبال المستوطنين القادمين من فرنسا واوروبا ،وفي هذا السياق نجد ظهور مجموعة من المراكز الاستيطانية في المنطقة والتي تطورت مع الوقت واخذت شكل مدن مستوفية شروط المدينة ،ونحن في هذه الورقة البحثية سوف نتناول بالدراسة لمدينة هامة في منطقة حوض الشلف وهي مدينة اورليان فيل ،حيث تتطرق هذه الدراسة الى اهم العناصر الاساسية بهذه المدينة ،الجغرافية والتاريخية والاقتصادية والعمرانية والتي تحاول الاجابة عن اشكالية رئيسية والمتمثلة في :ماهي اهم ملامح السياسة العمرانية الفرنسية في منطقة الشلف خلال العهد الاستعماري؟ متبعين المنهج التاريخي والوصفي والاحصائي والمقارن الذي تقتضي هذه الدراسة اتباعها.

الكلمات المفتاحية: منطقة حوض الشلف- الاستيطان-السياسة العمرانية – المدن الكولونيالية- العمران الاوروبي- العمارة الاسلامية

Abstract:

After the French forces entered the Chlef region at the beginning of the 1940s and took control of the most important cities in it, such as the city of Miliana, the city of Mazouna and the city of Tennis, the colonial administration embarked on the process of establishing urban communities in order to receive settlers from France and Europe, and in this context we find the emergence of a group of The settlement centers in the region, which developed with time and took the form of cities that met the conditions of the city, and in this research paper we will study one important city in the Chlef Basin region, namely the city of Orleans Ville , where this study addresses the most important basic elements of these cities, geographical, historical and economic and urbanism, which tries to answer a major problem represented in: What are the most important features of the French urban policy in the Chlef region during the colonial era? Following the historical, descriptive, statistical and comparative method that this study requires to be followed.

Keywords: Chlef Basin area- Settlement- the urban policy- Colonial cities- European urbanism- Islamic architecture.

1- مقدمة:

تعتبر مدينة اورليان فيل ORLEANSVILLE من اهم المدن الكولونيالية في منطقة الشلف فهي تتوسط المنطقة وتعتبر همزة وصل بين اهم المدن في الجزء الغربي من البلاد ،فهي تربط مدينة الجزائر من الشرق بمدينة وهران من الناحية الغربية عبر الطريق الوطني رقم 04،كما أنها تربط بين مدينة تنس الساحلية ومدينة فيلار (VIALLAR L)مدينة تيسمسيلت حاليا عبر الطريق الوطني رقم 19،بالاضافة الى المميزات الطبيعية والجغرافية والتي جعلتها محل استقطاب التوطن البشري عبر العصور انتهاءا بالاحتلال الفرنسي سنة 1843م،والذي عمل على تحويل المنطقة الى ملمح اوروبي في مختلف المجالات الاقتصادية الاجتماعية والعمرانية ،والذي حافظت عليه حتى بعد الاستقلال ،لولا زلزال اكتوبر 1980 الذي هدم العديد من المباني والمنشات المدنية والعسكرية وبذلك فقدت مدينة الشلف جزءا كبيرا من طابعها الاوروبي

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد السادس / العدد: الثاني
(جمادى الأولى 1444هـ/ ديسمبر 2022م)، ص 193– 216

2. الاطار الجغرافي لمنطقة حوض الشلف:

2-1: الموقع الجغرافي والمساحة:

تشمل المنطقة الحيز الجغرافي الواقع في الجزء الشمالي من القطر الجزائري ،الذي يضم اجزاءا واسعة من الجزائر الوسطى والغربية ،والمطل على البحر المتوسط ،او بعبارة اخرى هي تلك المناطق الواقعة بين ضفتي وادي الشلف الشمالية والجنوبية ،وهذا انطلاقا من منطقة قصر البخاري وصولا الى مصب الوادي شرق مدينة مستغانم ،حيث يتألف هذا الاقليم من مجموعة من المدن السهلية والجبلية ،كما يتشكل من نطاقات جغرافية متباينة بين سهول الساحل الضيقة المحصورة بين البحر وسلسلة جبال الظهرة ،وسهول الداخل المفتوحة على الغرب والمحاصرة من الشرق بجبال الاطلس البليدي والسلاسل الجبلية الموجودة على الاطراف في شكل اسوار طبيعية تحمي الاقليم من التيارات البحرية القادمة من الشمال والمؤثرات الصحراوية القادمة من الجنوب ،لكن هذه الحواجز الطبيعية اثرت في مناخ المنطقة ،التي جعلت منه مناخا صحراويا في فصل الصيف بالرغم من ان مدنه الداخلية لا تبعد عن البحر سوى 50كلم ،كما جعلت من مناخه بارد قارس في فصل الشتاء اما حدود المنطقة فهي السواحل الجنوبية للمتوسط والممتدة من مصب وادي الشلف غربا الى مدينة شرشال شرقا من جهة الشمال ، اما من جهة الجنوب فنجد سلسلة جبال الونشريس الممتدة من جبال بني شقران غربا الى مرتفعات المدية شرقا ،مشكلة طوقا منيعا ،كما تظهر المنطقة مفتوحة من جهة البطحاء وسهول وهران ،بينما محصورة من جهة الشرق بجبال الاطلس البليدي ،اي عند نهاية جبال زكار الشرقي.[1]

وإلى الجنوب من كتلة جبال زكار في الشرق والظهرة في الغرب يمتد سهل الشلف بأقسامه الرئيسية الثلاثة ،الاعلى ،الاوسط والاسفل، بدءا من جندل شرقا الى غليزان غربا على مسافة تزيد عن 120كلم.

2-2 التركيبة الجيولوجية للمنطقة:

حسب الدراسات التي اجريت على الجانب الجيولوجي للمنطقة فان تكوينها يعود الى إلى الزمن الجيولوجي الثالث ،اما كتلتها التضاريسية تنم عن العصر الطباشيري اكثر من غيره من العصور ،سواءا في الاجزاء الشمالية او الجنوبية من المنطقة ،كما يظهر العصر الكريتاسي في جبال الظهرة خاصة في اجزائها الغربية ،كما يظهر كذلك في بعض المناطق داخل سهل الشلف مثل الحمادنة ووادي سلي والاصنام

،كما يظهر العصر الجوراسي في بعض اجزاء المنطقة بالجبال المتوسطة الارتفاع القريبة من جديوية ،كما يظهر ايضا عصر البليوسين الادنى في بعض الكتل الجبلية الصلبة مثل جبل تملوقة وجبل دوي بعين الدفلى.[2]

كما تظهر تكوينات الميوسين في جبال الظهرة ايضا وتنس وفي اجزاء من سهل الشلف خاصة في الهوامش الشمالية ،حيث نجد بعض الصخور الجيرية والكلسية فضلا عن صخور طينية في انحاء مختلفة من المنطقة[3]

2-3 التضاريس: تتنوع المظاهر التضاريسية في منطقة الشلف بين سهول وجبال وهضاب ،يمكن تبيانها كما يلي:

2-3-1 السهول:

تتنوع سهول الشلف بين سهول ساحلية تنحصر بين البحر شمالا وسلسة الاطلس التلي جنوبا، تتميز بالضيق حيث لا يزيد عرضها عن 1كلم من البحر الى السلسلة الجبلية ،تتسع كلما اتجهنا نحو العرب وتضيق كلما اتجهنا نحو الشرق ،كما نجد السهول الداخلية المنتشرة في الاقسام الثلاثة الرئيسية لسهل الشلف، حيث تنحصر بين السلسلتين الجبليتين ،جبال الظهرة وزكار في الشمال وجبال الونشريس في الجنوب ،تتخللها بعض الكتل الجبلية وهي منعزلة ككتلة تملوقة وكتلة الدوي السالفة الذكر.[4]

يخترق وادي الشلف السهول الداخلية من الشرق الى الغرب من جندل شرقا الى واد مينا بغليزان غربا ،وقد استفادت المنطقة من تدفق الوادي ،في ظهور بعض الزراعات المسقية على ضفافه من الخضر والفواكه ،حيث ساعد وجود الماء والسهول الواسعة على الاستقرار البشري لا سيما في العهد الفرنسي إذ ظهرت العديد من المدن الاستيطانية بأسماء اوروبية توسعت على حساب الاراضي الصالحة للزراعة

تمتد سهول منطقة الشلف من الغرب الى الشرق ،اذ يصل ارتفاعها ما بين 250 الى 270 م عن مستوى سطح البحر ،هذا في ناحية جندل اما ارتفاعها من جهة الغرب فلا يتعدى 100م[5] .

2-3-2 السلاسل الجبلية:

توجد بمنطقة الشلف سلسلتين جبليتين شهيرتين هما ،سلسلة جبال الظهرة التي تمتد من مستغانم غربا الى غاية جبال زكار شرقا متوسطة الارتفاع اذ يصل ارتفاعها عند جبل بيسة شرق تنس ب 1048م ،تتميز

السلسلة بانها صخور جيرية شديدة الالتواء ، تنتهي جبال الظهرة عند جبل زكار الشرقي الذي يبلغ ارتفاعه 1579م وجبل زكار الشرقي كما هو معلوم اعلى من جبل زكار الغربي.[6]

يسود جبال الظهرة غطاء نباتي كثيف ،تتمثل في غابات البحر الابيض المتوسط الدائمة الاخضرار مثل اشجار البلوط والصنوبر والفلين والعرعار المنتشرة في الجهة الشرقية ،كما تبدو الجهة الغربية منها خالية من الغطاء النباتي

اما سلسلة جبال الونشريس ،فهي كتلة صخرية ضخمة ،تنطلق من جبال بني شقران غربا الى غاية جبال المدية شرقا ،على مسافة تقارب 170كلم ،يحدها من الجنوب سهول السرسو ومن الغرب واد مينا ومن الشمال واد الشلف وسهوله ،تسودها العديد من القمم الجبلية كجبل سعدية بارتفاع 1193م وجبل تمدرارة ب1192م وقمة الونشريس بعلو 1983م[8] وجبل المداد بثنية الاحد بعلو 1780م

تغطي سلسلة الونشريس غابات صنوبرية واشجار البلوط والعرعار واشجار الارز، والظاهر ان الغطاء النباتي يزداد كثافة في سلسلة الونشريس كلما توجهنا نحو الشرق ،وذلك راجع الى كثرة التساقط ،حيث نلاحظ ان الثلوج تغطي قمم الجبال في الجهات الشرقية بدل الجهات الغربية.[9]

2-4 المناخ:

يمكن ان نميز بين ثلاثة نطاقات مناخية متباينة في المنطقة من حيث الخصائص والامتداد نبينها كما يلي:

2-4-1 مناخ البحر الابيض المتوسط :

ينحصر هذا المناخ بين البحر وسلسلة الظهرة ،من اهم خصائصه ان امطاره تصل الى 600ملم في فصل الشتاء ودرجة الحرارة تبلغ في نفس الفصل 15 درجة اما في فصل الصيف فتصل الى 20درجة ،كما يتصف ايضا بارتفاع نسبة الرطوبة التي تتناقص كلما توجهنا نحو الداخل.[10]

2-4-2 المناخ الجبلي:

يسود هذا النوع من المناخ منطقة سلسلة الظهرة ومنطقة سلسلة الونشريس ،يتميز بشتائه البارد كثير المطر ،وغالبا ما تشهد هذه السلاسل تساقط الثلوج في فصل الشتاء والتي تستمر عدة ايام ثم تأخذ في

الذوبان لتغذي واد الشلف وروافده بالمياه، اما في فصل الصيف فمناخ منطقة الظهرة والونشريس الطف نسبيا من المناطق الداخلية.[11]

2-4-3 المناخ القاري:

يسود هذا النوع من المناخ المناطق الداخلية المنحصرة بين جبال الظهرة في الشمال وجبال الونشريس في الجنوب ،من جملة خصائصه:

- شتائه بارد قليل المطر نسبيا في فصل الشتاء تتراوح امطاره بين 400ملم الى 500ملم.
- تصل درجة الحرارة الى 10درجات في شهر جانفي ثم ما تلبث في الارتفاع مع مرور الاشهر
- صيفه حار وجاف تصل درجة الحرارة في شهر جويلية واوت الى اكثر من 45درجة[12]

2-5-المجاري المائية:

يأتي في مقدمة المجاري المائية بمنطقة الشلف واد الشلف ،اذ يبلغ طوله 700كلم ،وهو اطول الاودية في المغرب العربي ،ينبع من سلسلة جبال الاطلس الصحراوي من جبال عمور،يمر بمنطقة قصر البخاري ثم يتجه غربا ليخترق سهل الشلف بأقسامه الثلاثة الرئيسية الى غاية التقائه بواد مينا بغليزان ليتجه نحو الشمال ليصب في البحر شرق مدينة مستغانم[13]

ما يلاحظ على وادي شلف انه يتغذى من روافده الشمالية والجنوبية وروافده الجنوبية اكثر من الشمالية ،التي نذكر منها واد زدين ،واد تيكزال ،واد تسيغاوت، واد سلي،واد رهيو ،واد جديوية ،وهي بالكامل أودية تنبع من السفوح الشمالية لجبال الونشريس لتزيد من منسوبه الى غاية تقاطعه مع واد مينا[14]

3-تأسيس مدينة اورليان فيل:

3-1 الموقع:

3-1-1جغرافيا:

تقع مدينة أورليان فيل Orleansville في القسم الأوسط من حوض الشلف، على الضفّة اليسرى لواد الشلف الأعظم، فبالاعتماد على المظاهر الجغرافية يمكن تحديد المدينة جغرافيا على النحو التّالي، فالمدينة يحدها من الناحية الشّمالية جبال الظهرة، أين تظهر قمّة جبل بيسة بارتفاع يقدّر بـ 1048م، ومن الجهة الجنوبيّة يحدّها جبال الونشريس حيث تظهر لنا قمّة جبل تمدرارة بارتفاع 1192م، ومن الجهة

الشّرقية تظهر لنا سهول شلف الأعلى الممثّلة في سهول العطّاف وعين الدّفلى، ومن الجهة الغربيّة نجد سهول الشلف الأسفل الممثّلة في سهول وادي رهيو وغليزان[15]

3-1-2 إداريا:

بالاعتماد على الوحدات الإداريّة الّتي أنشئت من طرف الإدارة الاستعماريّة في منطقة حوض الشلف، يمكن أن نحدّد المركز الاستيطاني لأورليان فيل Orleansville بالشّكل التّالي، فمن النّاحية الشّمالية نجد المركز الاستيطاني WARNIER (أولاد فارس حاليا) الّذي تمّ تأسيسه سنة 1880م، ومن النّاحية الجنوبية نجد القرية الزّراعية BAUGINVILLE سنجاس حاليا، والّتي أسّست سنة 1907م، ومن النّاحية الغربيّة نجد المركز الاستيطاني MALAKOF وادي سلي حاليا والّذي تمّ تأسيسه سنة 1868م والّذي تأسّس سنة، ومن النّاحية الشّرقية نجد المركز الاستيطاني PONTBA أم دروع حاليا الّذي تأسّس سنة1848م [16]

لقد أدركت السّلطات الاستعماريّة منذ الوهلة الأولى أهميّة إحكام السّيطرة على منطقة الشلف وإقامة مركز عسكري دائم يسهّل عملية الاتّصال بين المناطق الدّاخلية والسّاحل في تنس، ويضمن التّواصل بين الجزائر ووهران، كما يساعد على إقامة مركز استيطانية عسكرية ومدنية أخرى في منطقة حوض الشلف، من أجل التصدّي لمقاومة الأمير عبدالقادر من جهة، وتسهيل عمليّة إقامة المستوطنين الأوروبيّين والفرنسيّين في المنطقة من أجل استغلال خيرات المنطقة تحرّكت حملة سنة 1843 عبر محورين رّئيسيين، المحور الأوّل بقيادة الماريشال بيجوBUGEAUD حيث انطلق من مدينة مليانة بتاريخ: 23 أفريل 1843م على رأس جيش قوامه ستّة كتائب مشاة و250 فارسا وفصيلتين جبليتين وكذا عدد كبير من المهندسين العسكريين والممرضين والعمّال الإداريين بالإضافة إلى 120عربة و350 بغلا، وأمّا المحور الثّاني فقد كان بقيادة الجنرال جنتيل GENTILLE انطلق من مدينة مستغانم في اليوم نفسه على رأس جيش كان يضم 70 عربة و1800 بغلا وبتاريخ26 أفريل1843 م ظهرا وصل الطابور الأول بقيادة الماريشال بيجو إلى مدينة الأصنام، وبالقرب من الآثار الرّومانية الواقعة على يسار واد الشلف ويمين واد تسيغاوت باشرت فرقة الهندسة العسكريّة في تطهير المكان، وشقّ المسالك للعربات ليتم نصب أول مخيم، والذي سيشكل حجر الأساس للمستوطنة الجديدة، وفي اليوم الموالي وصل الطّابور الثّاني بقيادة الجنرال

جنتيل الّذي تصادف وصوله باستقبال لماريشال بيجو لأعيان وشيوخ قبائل المنطقة من جبال سنجاس وبني راشد ومجاجة[17] ، ليقوم بعد ذلك بتعيين العقيد كافينياك على رأس المخيّم الجديد وجعل كل من الرّائد تريبي (Tripier) مساعدا له في ميدان الهندسة العسكريّة والنّقيب ريشار (Richard)مكلّفا بالشّؤون العربيّة والّذي سيصبح بعد ذلك رئيس المكتب العربي بمنطقة الشلف.

لقد وصلت جيوش الاحتلال إلى مدينة الأصنام بعد أربعة إيام فقط من انطلاق الحملة، وهذا ما يوحي بانعدام شبه كلّي للمقاومة الشّعبية، والّتي كما ذكرنا سالفا فقد تمّ تشتيتها وإحكام السّيطرة عليها خاصّة بعد احتلال مليانة ومازونة ودفع القبائل والقّوات الموالية للأمير عبد القادر إلى المناطق الجبلية في الشّمال والجنوب (الظّهرة والونشريس)، وهي القّوات الّتي كانت في الأصل تعاني من ضربات متتالية وحصار مطبق وفي صبيحة يوم 28 أفريل1843م سار الماريشال بيجو نحو الشّمال قاصدا مدينة تنس السّاحلية الّتي وصلها يوم 30 أفريل1843م وعلى أنقاض آثار مدينة كارتيناالرّومانية أعطى الأوامر لبناء المدينة الفرنسية الجديدة، ومنها أرسل أوّل أخباره إلى وزير الحربية في فرنسا الماريشال (Soulte) الذي سرته الأنباء وأرسل بقراره المؤرخ في 16 ماي 1843 بأن يسمى المخيم الجديد باسم مدينة أورليان (أورليانفيل) نسبة إلى الدّوق اورليان.[18]

وتشاء الأقدار أن يكون ذلك اليوم نكسة على مقاومة الأمير عبد القادر، فعلى "شاطئ الشلف الأعلى" كانت عاصمة الأمير المتنقلة (الزّمالة)، تتعرّض للنّهب والسّطو والاستيلاء عليها في عين طاقين (بلدية قصر الشلالة حاليا) من طرف قوات الكولونيل لامورسيار.[19]

كانت تسمية المخيم مدينة (أورليان) ولم يكن بعد في مستوى بلدة أو بلدية، وقد قام الكولونيل كافينياك ينظم الإدارة ويوسع المخيم إلى حيّ سكني للجنود يشقّ المسالك كما قام بإقامة جسر على نهر الشلف يضمن التّواصل بين الجهة الشّمالية والجنوبية للمدينة.

إنّ المدينة النّاشئة لو لم تبدأ مخيما عسكريا، لم يكن في وسع أي إنسان الإقامة بها فبعض التّجار والحرفيين اللّذين رافقوا الحملة، عادوا من حيث أتوا قبل نهاية الصّيف، وبعد ستّة أشهر من قيادة كافينياك لأوّل مخيم بالشلف، حضر نظيره الكولونيل سانت أرنو يوم 24 نوفمبر 1843 ليخلفه في قيادة المخيّم، وكتب سانت أرنو يصف المدينة بعد ستّة أشهر من تأسيسها: "كانت مدينة أورليان فيل عبارة عن مخيّم واسع به 2000 رجل" وفي رسالة أخرى لأخيه يصف المخيّم قائلا "إنّ مدينة أورليان هي صحراء وسط

صحراء كرى، تصوّر بضع ديار وسط سهل شاسع لا شجر ولا نبات ونهر الشلف في ظهرنا مع جسر أمريكي.[20]

كانت مدينة مليانة مركزا متقدّما في الغرب والآن أصبحت أورليان فيل (الأصنام)، وهاهو سانت أرنو يجد نفسه معزولا كما كان في مليانة بدون مواصلات، فكما شقّ طريق مليانة شرشال عليه اليوم شقّ طريق الأصنام تنس، وهاهو يكتب في رسالة أخرى "ألف ساعد تعمل على شقّ الطّريق الّذي قد لا ينتهي قبل عام" ويضيف "إنّ مستقبل هذا البلد عظيم، لكن ما أعظم الذّهب الّذي سيلتهمه

يعدّ سانت أرنو أول من وضع البنايات الأساسيّة والقاعديّة لتطوير مدينة الأصنام، فلقد قام بتوطئة الطّريق الرّئيسي الكبير، وبنى المستشفى الكبير فوق ربوة كانت تشرف على المخيّم كما قام بإنشاء مراقد للجنود وإصطبلات للحيوانات وشيّد مبنى قيادة الأركان، وبعد مرور عام على نشأة المدينة أصبحت تضمّ إلى جانب 4000 عسكري 430 مدنيا يعملون على إعمار المدينة النّاشئة.

لقد بذل سانت أرنو مجهودات كبيرة لترقية المخيّم إلى مركز استيطاني أوروبي، فقد هيّأ لها مزرعتها الخاصّة على ضفاف واد الشلف، وكان الجنود مكلّفين بزراعتها وها هو يكتب من جديد: "قمت بزرع الشّعير بكتيبتي الخاصّة، ما يزيد عن خمسين هكتارا وأنا الآن أغرس الأشجار الّتي قد لا أرى ظلّها أبدا وبأمر مؤرخ في 14 أوت 1845م تقرر تحويل المخيم إلى مركز سكني عسكري تعداد سكانه 2000 نسمة وحدّدت مساحته الترابية بـ 2000 هكتار، تمنحها الحكومة للمعمّرين الوافدين خاصّة الباريسيّين الّلذين تمّ تهجيرهم قسرا بعد أحداث 1848 م في فرنسا وأوروبا حيث تمّ توطينهم في الفيرم (حي الحريّة حاليا) الّتي تمّ إنشائها سنة 1845 م، وكانت مزرعة تابعة للمخيّم، ثم أيضا في بونتيبا (أمّ الدروع حاليا) الّتي تمّ إنشائها سنة 1848 م لتغطية الطّلبات المتزايدة للوافدين الجدد.[21]

وفي سنة 1850 م وبعد تزايد عدد المدنيّين بمدينة الأصنام حيث بلغ 702 مستوطن من جنسيّات مختلفة، وسعيا من الإدارة الاستعماريّة لتسيير شؤونهم الإداريّة اضطرّ وزير الحرب إلى إنشاء محافظة مدنية وكانت هذه الخطوة آخر مرحلة قبل قيام البلديّة الكاملة الصّلاحيات ضمن المدن الواقعة تحت التّراب العسكري.[22]

تأسّست المحافظة المدنيّة بالأصنام بمرسوم بتاريخ: 21 نوفمبر 1851م وتمّ تعيين فرديناند دوبوك أوّل محافظ لها، ولم تكن سلطته في البداية تتعدّى أسوار المدينة ثمّ شملت المستوطنين في كل من الفيرم وأمّ الدروع في شهري جويلية وديسمبر من سنة 1852 م، ومنذ ذلك الحين بدى التّباين في تقسيم الصّلاحيات الإداريّة عن السّلطة العسكريّة الّتي أصبح يمثّلها الكولونيل بوسكي خلفا لسانت أرنو الّذي غادر المنطقة سنة 1848 م.

وإلى جانب المحافظ المدني الّذي كان يدير شؤون السّكان الأوربيّين، كان هناك مسؤول آخر مهمّته تسيير شؤون الأهالي في إطار ما كان يعرف بالمكاتب العربيّة ، وكان أوّل رئيس للمكتب العربي بالمدينة هو النّقيب شارل ريشارد ، الّذي كان في الفرقة نفسها مع سانت ارنو وبدأ عمله أوّلا في مدينة تنس، وكان يحمل أفكارا شيوعيّة وقد عمل على إفادة الأهالي من بعض الخدمات الحديثة في ميادين الصحّة والقضاء والتّعليم واستخدام الآلات وأنشأ أكبر سوقين بالأصنام وتنس، وهو الّذي عمل أيضا على تحويل المحافظة المدنيّة إلى بلدية مستقلة ولامركزيّة.[23]

لقد ساهمت جهود ريشارد إذن من جهة وتزايد عدد الأوربيين بالمنطقة من جهة أخرى (حيث بلغ عددهم 1077 معمر سنة 1856 م)على تحويل المحافظة المدنية إلى بلديّة مستقلّة، حيث تمّ الاعتراف بها بمرسوم 31 ديسمبر 1856 م، وقام الحاكم العام للجزائر بتعيين أوّل مجلس بلدي بقراره بتاريخ: 29 جوان 1857 م، وأشرف على تنصيبه يوم 08 جويلية 1857 م وكان يتكوّن من: فرديناندوبوك رئيسا للبلديّة ومعاونيه كل من: ليون ديجردان عن المدينة، وبيار بولي عن أمّ الدروع، وكارل هيبوليتب عن الفيرم، وكان له مستشارون، وهكذا بدأت معالم الحدود الإداريّة للمنطقة بالبروز، وتطوّرت بتطوّر مقتضيات الاستيطان تارّة، وتحت تأثير العوامل الاجتماعيّة، السّياسية، الاقتصاديّة والطّبيعية تارّة أخرى.[24]

وفي 27 جويلية 1878 م، صدر مرسوم حكومي جعل من الأصنام دائرة، فأصبحت عاصمة الشلف الصّغيرة، وكانت إذاك تضم العديد من المراكز الاستيطانية والبلديّات ومن أبرزها: شارون (بوقادير حاليا) مالاكوف (واد سلي حاليا)، مونتونوت (سيدي عكاشة حاليا)، واد الفضّة وكذا الفيرم وأمّ الدروع، إلّا أنّه سرعان ما توسّعت رقعة هذه الدّائرة بعد سنة 1875 م، نتيجة نشأة مراكز استيطانية، وبلديّات أخرى على غرار أولاد فارس1877 (Warnier) م، وسنجاس (Bougainville) سنة 1907م، وأولاد بن عبد القادر(Masséna) ، وعين مران (Rablais) سنة 1889 م غيرها من المناطق الأخرى

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830
المجلد السادس / العدد: الثاني
(جمادى الأولى 1444هـ/ ديسمبر 2022م)، ص 193– 216

وبتاريخ: 28 جوان 1956 م وبموجب المرسوم رقم: 461/56 أصبحت أورليانفيل عمالة من بين العمالات السّبع ضمن التّقسيم الجديد في الإدارة الفرنسيّة وأصبحت تضمّ ستّة دوائر هي: (الأصنام، عين الدّفلى، شرشال، مليانة، ثنيّة الحدّ، تنس) وأصبح عدد بلديّاتها 102 بلديّة تمتدّ على مساحة 13500 كلم2 بتعداد سكّان بلغ 671 ألف نسمة.[25]

3-2التطوّر الدّيمغرافي للمدينة:

تعتبر قبيلة أولاد قصير من أهمّ القبائل المحلّية، الّتي سكنت في منطقة سهل الشلف الأوسط فمن خلال الوثائق والأرقام الإحصائيّة، الّتي وجدت في بعض الجداول الإحصائيّة الخاصّة بسنة 1845 م وسنة 1848 [26] ، فإنّ تعداد سكّان هذه القبيلة قدر سنة 1845م بـ 8953 نسمة يتربّعون على مساحة قدرها 38440هكتار، في حين الأرقام الّتي سيّقت حول نفس القبيلة خلال سنة 1848، فنجد تعداد سكّانها قدر بـ 8288 نسمة على مساحة قدّرت بنفس الرّقم السابق 38440هكتار، وهي القبيلة المحليّة الّتي أقيمت على أراضيها مدينة أورليان فيل، والّتي تأسّست في البداية كمخيّم عسكري في سنة 1843، وتطوّرت إلى مركز استيطاني فرنسي ثمّ إلى مدينة، وبعد فتح باب الهجرة أمام الأوروبّيين والفرنسيّين للاستقرار في مدينة أورليان فيل، فإنّ تعداد السّاكنة تطور وتنوّع، حيث أصبح النّسيج الدّيمغرافي يضمّ السكّان المحليّين بالإضافة إلى الجالية الأوروبيّة المقيمة في المنطقة

أمّا عن تطوّر عدد السّكان الفرنسيّين في مدينة أورليان فيل، فمن خلال منحنى تطوّر السكّان للمدينة خلال الفترة 1840 إلى غاية سنة 1856، فنجد في سنة 1843 قدر عدد السّكان بـ 240 نسمة، والّذي وصل في نهاية نفس السّنة إلى 500 نسمة، ومع تزايد الطلب على اليد العاملة من أجل توسيع المركز الاستيطاني أورليان فيل، فإنّ عدد الوافدين كان يتزايد باستمرار فقد وصل تعدادهم سنة 1856 إلى 1100 نسمة، وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا التطوّر الدّيمغرافي المستمرّ والمتزايد من سنة إلى أخرى قد عرف فترات من التّراجع مثل ما حدث سنة 1849، حيث انتشر وباء خطير، وهو وباء الكوليرا جلبه أحد الوافدين الفرنسيّين من مدينة مرسيليا معه إلى المنطقة، فهلك العديد من المدنيّين والعسكريّين ولم تسلم حتّى القبائل المجاورة للمدينة، وانتشر حتّى إلى باقي المدن الأخرى من البلاد كالجزائر

العاصمة، حيث علّق أحد الأطبّاء الفرنسيّين عن هذا الوباء المنتشر في مدينة أورليان فيل قائلا: "أنّ الوضعيّة كارثيّة، وتعدّت منطق الحقيقة"، ولم ينته هذا الوباء إلّا في نهاية سنة 1850م[27].

لقد تحكّمت في الوضعية الدّيمغرافية في مدينة أورليان فيل عدّة عوامل أهمّها الوضع الصحّي الّذي أثّر بشكل مباشر على عدد الوفيات، والعمل الثّاني وهي الهجرة الخارجيّة إلى المنطقة، فمن خلال منحنى عدد الولادات والوفيات في أورليان فيل في الفترة ما بين 1844 و1855 نلاحظ أنّ عدد الوفيات قد فاق عدد الولادات، ففي سنة 1853 قدّر عدد الوفيات بـ 632 نسمة في حين قدّر عدد المواليد بـ 293نسمة، وهذا ما دفع بالطّبيب الرّئيسي في المدينة ديسورت إلى القول بضرورة تشجيع الهجرة الأوروبيّة إلى المنطقة من أجل إحداث نوع من التّوازن في التطوّر الدّيمغرافي، لكنّ هؤلاء الوافدين إلى المنطقة سرعان ما غادروها بسبب صعوبة الظّروف الطّبيعية الّتي ميّزت المنطقة، ففي سنة 1853 وصل إلى أورليان فيل 78 معمّر في حين كان عدد المغادرين 67 معمّر، وفي سنة 1854 وصل 87 معمّر، وغادر 77 معمّر وفي سنة 1856 وصل 183 معمّر في حين غادر 97 معمّر المنطقة.

نلاحظ أنّ النّمو الدّيمغرافي تأثّر عنصرين إيجابيين وهما الولادات والوافدين الأوروبيّين، وعنصرين سلبيين، وهما الوفيات والمغادرين للمنطقة، يضاف إلى هذه التّشكيلة دخول بعض العناصر الأهليّة واليهود إلى مدينة أورليان فيل، حيث قدر عدد الجزائريين بحوالي 40 مسلم و30 يهودي.

أمّا من ناحية تركيبة السّكان الوافدين إلى المدينة، وهم كانوا أوروبيين وفرنسيين قدموا إلى الجزائر عامة، وإلى منطقة الشلف خاصّة، رغبة في الاستقرار في الجزائر، فقد عملت الإدارة الاستعماريّة منذ السّنوات الأولى لاحتلال الجزائر على تشجيع ظاهرة الاستيطان الأوروبي في الجزائر، من أجل المحافظة على وجودها في الجزائر، حيث نجد الماريشال بيجو يرافع بقوّة أمام البرلمان الفرنسي عن فكرة الاستيطان يوم 14ماي 1840م، قائلا:" لابدّ من احتلال واسع في إفريقيا يشبه ما فعله الرّومان والقوطيون، فبدون ذلك لا يمكنكم تحقيق أي شيء.... لابدّ من جلب مستوطنين، وتوطينهم في ظروف ملائمة، ومن أجل ذلك لابدّ من نداء مغري".[28]

هذا وقد اتّبعت الإدارة الاستعماريّة إلى جانب سياسة الإغراء سياسة التّهجير العمدي والقسري، والّتي لا تقلّ أهمية عن سياسة الإغراء، حيث ساهمت إلى حدّ كبير في استقرار العديد من المعمّرين في منطقة الشلف، كما هو الحال بالنّسبة للمعمّرين الباريسيّين الّذين جيئ بهم عام 1848 وتوطينهم في كلّ من

الفيرم وأمّ الدروع اللّتين تمّ إنشاؤهما سنة 1845و1848م، وكذلك سكّان الألزاس واللورين الذين تمّ تهجيرهم إلى المنطقة بموجب قرارات اتفاقية فرانكفور.[29]

أمّا عن أصول هؤلاء المستوطنين الوافدين إلى مدينة أورليان فيل فقد تنوّعت، حيث عمدت الإدارة الاستعماريّة على استقدام جاليات أوروبية من مختلف الجنسيّات، حيث نجد الفرنسيّين في المقام الأوّل والّذين وفدوا من مختلف المقاطعات الفرنسيّة، ويمكن تقسيم هذه المقاطعات على النّحو التالي:

1- **المقاطعات الباريسيّة**، والمتمثّلة في سان وسانت أيواز كانت تمثّل نسبة 9%، وذلك بعد تأسيس مستوطنتي الفيرم وأم الدروع.

2- **المقاطعات الحدودية** مع ألمانيا، والمتمثّلة في الألزاس واللّورين، وكانت تمثّل نسبة 17.5% من المعمّرين الفرنسيّين الّذين تمّ توطينهم في المنطقة.

3- **المقاطعات الجنوبيّة**، وكانت تضمّ نسبة كبيرة من المستوطنين بنسبة 43.%

يمكن تفسير غلوب المعمّرين من المقاطعات الفرنسية الجنوبيّة دون غيرها إلى عدّة عوامل منها صعوبة المنطقة الجنوبيّة في فرنسا، إضافة إلى فقر التّربة، وكذلك انتشار وباء زراعي في المنطقة يسمّى الفيلوكسيرا، يضاف إلى هذا الدّعاية الرّسمية المغرية من طرف المسؤولين الفرنسيّين عن المزايا، والامتيازات الّتي تمنح للمعمّرين المتوجّهين إلى الجزائر.[30]

وإلى جانب المعمّرين من أصول فرنسيّة، وفد إلى المنطقة جاليات أوروبية من مختلف البلدان الأوروبية ،فقد بلغ عدد المستوطنون الاسبان سنة 1856م حوالي 817مستوطن في حين بلغ عدد الايطاليين 166 مستوطن ،الى جانب جنسيات اوروبية مختلفة وفدت الى المنطقة كالألمان والمالطيون والسويسريون وغيرهم.

وعموما يمكن تفسير سبب كثرة هجرة الجالية الإسبانية والإيطالية إلى منطقة أورليان فيل إلى عمل الظّروف الاقتصادية والاجتماعية الصّعبة، لكلا البلدين إضافة إلى طبيعة المنطقة وخصوصيتها، فهي منطقة فلاحية بامتياز، ولهذا فإنّ أغلب الوافدين الأوروبيّين إليها، كانوا فلّاحين ومزارعين مثلما سيأتي تبيانه لاحقا.

بعد سنة 1871 توجهت الإدارة الاستعمارية في الجزائر إلى غلق باب الهجرة أمام الجاليات الأوروبية، رغبة منها في جعل الجزائر مستعمرة فرنسية وليست أوروبيّة، فقبل سنة، 1871 توافد العديد من الأوروبيين إلى الجزائر عموما ومنطقة الشلف خصوصا، وأصبحوا يملكون عقارات واسعة الأمر الّذي أحدث نوع من الصّعوبة في تملك الفرنسيين للعقّارات، مثل ما هو الحال بالنّسبة لأحد المالطيّين في منطقة أورليان فيل، الّذي استحوذ على نحو ألف هكتار من الأراضي الصّالحة للزّراعة.

أمّا عن طبيعة المستوطنين الأوروبيّين في منطقة أورليان فيل من حيث التّركيبة الاجتماعيّة، فقد كانت متنوّعة، سنحاول أن نبيّنها كالآتي:

3-2-1 الحالة العائليّة:

بداية الأمر شملت الهجرة الأوروبيّة إلى المنطقة الأفراد دون العائلات، خاصّة فئة الذّكور، لكن شيئا فشيئا تغيّر الأمر، فمدينة أورليان كان بها 300 مستوطن و106 امرأة و22 طفلا عام 1844.

وإذا كانت السّنوات الأولى شهدت ارتفاع في نسبة العزّاب من الذّكور، فإنّ الإدارة الاستعماريّة قد تدخّلت في الأمر، وأصبحت تمنح الأولويّة للمتزوجين الرّاغبين في الاستقرار في المنطقة، وهذا الإجراء يرمي إلى رفع نسبة المستوطنين بالمنطقة.

3-2- 2 المهن والحالة الاجتماعيّة:

يمكن التّمييز بين ثلاثة أنواع من المعمّرين الّذين استقرّوا بالمنطقة، وهم العسكريّون، العمّال والفلّاحون.

3-2-2-1 العسكريون:

منذ سنة تأسيس المخيّم العسكري لأورليان فيل في 1843، والّذي تطوّر مع مرور الوقت إلى أن أصبحت مدينة تضمّ مختلف المرافق، والهياكل الضروريّة للسّكان، فإنّنا نجد أنّ المدينة عرفت الاستيطان العسكري بكثرة، وهذا في الوقت الّذي كان فيه الماريشال بيجو حاكما عاما على الجزائر، والّذي يعتبر من أشدّ المشجّعين والدّاعمين لفكرة الاستيطان في الجزائر، وبالتّالي فإنّنا نجد فئة المعمّرين العسكريّين هم الّذين احتلّوا الصّدارة في المنطقة، حيث عرفت أورليان فيل قدوم الجالية الباريسيّة عام 1848، يضاف إليهم فئة العمّال والفلّاحين، والجدول التّالي يبيّن عدد العسكريّين الّذين قدموا إلى اورليان فيل وأم الدروع والفيرم سنة1850م.[31]

مركز اورليان فيل	26 معمر عسكري

3-2-2-2 العمال والفلاحون:

إلى جانب المعمرين العسكريين ،نجد المعمرين المدنيين الذين توافدوا بعدد معتبر الى المنطقة،حيث شملت تركيبتهم المهنية مختلف المهن والحرف والحرف من عمال محاجر ومطاعم ومخابز ،الى جانب الاسكافيين والجزارين والبقالين وفي الجدول التالي عينة عن هؤلاء المعمرين [32]

طبيعة المهن	عدد المعمرين
الفلاحون	03
بائعو الخمور	02
الخبازون	05
اصحاب المطاعم	01
البناؤون	03
النجارون	05

3-3 التطوّر الاقتصادي للمدينة:

3-3-1 النّشاط الزّراعي :

تعترف العديد من الكتابات التّاريخية أنّ منطقة الشلف أو منطقة أوربيان فيل على أنّها منطقة زراعية بامتياز، فقد ساعدت خصوبة التّربة ووجود واد الشلف وروافده على انتشار العديد من الزّراعات في المنطقة عبر مختلف العصور، حيث شكّلت حرفة الزّراعة أهم نشاط اقتصادي للقبائل المحلّية في المنطقة، وبالتّالي فإن المزاعم الّتي يطرحها بعض المؤرّخين الفرنسيّين أنّ المنطقة كانت فقيرة، وقد تمّ بعثها مع دخول الفرنسيّين إليها باطلة، فقد صرّح الجنرال بيجو سنة 1842 عندما عبر سهول الشلف بأنّ هذه السّهول تشبه سهول السان واللوار في فرنسا، وأنّ بها زراعات واسعة وتتميّز بخصوبة عالية وذات مردود عالي.

وكغيرها من المناطق الأخرى في الجزائر، فإنّ منطقة الشلف عرفت النّشاط الزّراعي قبل احتلالها من طرف الفرنسيّين سنة 1843م، وهذا باعتراف الفرنسيّين أنفسهم سواء كانوا عسكريّين أو تقنيّين، على اعتبار أنّ المنطقة ذات مميّزات طبيعيّة وجغرافيّة مكّنت سكّان القبائل بممارسة حرفة الزّراعة وحرفة الرّعي.

فقد شكّلت منطقة الأصنام منطقة زراعيّة بامتياز حسب شهادة بعض الفرنسيّين الّذين استقرّوا بمنطقة الشلف على غرار وارني وسانتت هيبوليت، كما أنّ الماريشال بيجو عندما وصل إلى المنطقة وانبهر بما تتمتّع به من خيرات ومؤهّلات اقتصاديّة، فقد زعم بأنّ سهول الشلف بعد خمسون سنة من الاستيطان، فإنها ستضاهي سهول اللوار وقارون والسان في فرنسا .

وفي مقام آخر ها هو الفرنسي شارون يقدّم لنا وصفا دقيقا عن سهول الشلف في إحدى مذكّراته العسكريّة في سنة 1848م: "في النّاحية الغربيّة من الجزائر، حيث توجد هناك سهول الشلف، سهول ممتازة، أراضيها زراعية وجمال طبيعي جذّاب، زاد من جمالها تدفّق مياه الأمطار....، العرب يحرثونها ويبذرونها بشكل واسع غير مكترثين بفيضانات فصل الشّتاء .... فهي ليست مستنقعا في حوض أورليان فيل

شكّلت المساحات المزروعة في منطقة الشلف الأوسط نطاقا واسعا، فقد كانت معظم القبائل المحلّية تستغلّ هذه الملكيّات من الأراضي في نشاط الزّراعة والرّعي، وفيما يلي بعض الأرقام عن بعض المحاصيل التي كانت منتشرة في المنطقة[33]

المحاصيل/قنطار	1938	1939
الحبوب	3.145	/
القطن	24	7
الكروم	480	478
الذرة	/	16
البرسيم	769	687
الحمضيات	1.174	1.248
المحاصيل التجارية	405	434

3-3-2 الانتاج الحيواني: عرفت تربية المواشي اهتماما واسعا لدى المعمّرين في المنطقة، خاصّة وأنّ منطقة أورليان تتوفّر على الظّروف المواتية لتربية هذه الشّعبة، نظرا لأهميتها الاقتصاديّة الكبيرة بالنّسبة للمعمّرين خاصّة والميتروبول عامّة، وفي ما يلي جدول يبيّن أهمّ شعب تربية الماشية لدى المستوطنين في منطقة أورليان فيل سنة 1951. [34]

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830
المجلد السادس / العدد: الثاني
(جمادى الأولى 1444هـ/ ديسمبر 2022م)، ص 193– 216

المزارعين سنة1948	الخيول	البغال	الحمير	الابقار	الاغنام	الماعز	الخنازير
437	313	182	25	379	1892	494	733

تأتي في المقام الأوّل شعبة تربية الأغنام لدى المعمّرين بـ 1892 راس، وطبيعي الاهتمام بهذه الشّعبة المهمّة، فهي مادّة أساسية في الاقتصاد الفرنسي، فهي تعمل على توفير اللّحوم الحمراء، وتوفير الأصواف والجلود الّتي تدخل في العديد من الصناعات.

3-3-3 النّشاط الصّناعي:

عرفت المنطقة ظهور بعض الأنشطة الصّناعية، والحرف قبل وصول الاحتلال الفرنسي في الأربعينات من القرن 19م،إلا أن هذه الصناعات لم تكن متطوّرة بالحجم الّذي وصلت إليه الصّناعة في أوروبا، فالصّناعة لم تتعدّ نطاق القبيلة، وكانت تعتمد على استعمال المواد الأوليّة المتوفّرة في المنطقة أو المناطق المجاورة لها، حيث انتشرت صناعة الألبسة في قبيلة أولاد عباس مثل حياكة البرنوس، بالإضافة إلى صناعة الأسلحة، ومعدّات الفروسيّة، والّتي كانت تعتمد أساسا على الجلود والأصواف[35] ، وإلى جانب ذلك عرفت المنطقة ظهور العديد من الطاحونات اليدوية والهوائية، التي كانت تقوم بطحن الحبوب، والّتي كانت منتشرة في قبيلة صبيح، إلى جانب ذلك وجدت العديد من معاصر الزّيتون، وكانت هذه المنتوجات موجدة في أغلب الأحيان إلى الاستهلاك المحلي وما زاد يوجّه إلى التّسويق في الأسواق الأسبوعية.[36]

ومع وصول المستوطنين الأوروبيّين إلى المنطقة، وإقدام سلطات الاحتلال الفرنسي على تشجيع الاستيطان في المنطقة، والّذي كما رأينا سابقا أنّ هذا الاستيطان غلب عليه الاستيطان الفلاحي بدرجة أساسية، لذلك عمدت الإدارة الاستعماريّة إلى مصادرة الأراضي الزّراعية وتوزيعها على المعمّرين أين قاموا بإنشاء مستوطنات فلاحية، وراحوا يستصلحون الأراضي ويوسّعون المساحات المروية، ويدخلون زراعات جديدة إلى المنطقة، في حين أن النّشاط الصّناعي ظل بسيطا يرتكز أساسه على بعض الصّناعات الاستخراجية الّتي مست بعض المناجم والمعادن، التي كانت منتشرة في المنطقة، بالإضافة إلى بعض الصّناعات الغذائية الّتي ارتبطت ببعض المنتوجات الفلاحية كالخمور والقطن والزّيوت، وعليه يمكن القول

أنّ هذه الصّناعات كانت مرتبطة بالزّراعة أو مكمّلة لها، والواقع أن أغلبيّة المعمّرين الّذين جاؤوا إلى المنطقة غالبيتهم مزارعين ومن أبرز العائلات الّتي استقرّت في ضواحي أورليان فيل لدينا عائلة بول روبرت، وعائلة فيفر بول الّتي اشتهرت ببيع الخمور[37]

والحقيقة أنّ الحاجة الملحّة للموادّ الأوّلية التي كانت تفتقر إليها فرنسا، جعلتها تبحث وتنقب في كل مكان من الجزائر، وفي هذا السّياق فقد تمكّنت الإدارة الاستعماريّة من اكتشاف ثلاث مناجم بالمناطق المجاورة لورليان فيل مثل منجم بوقايد الخاص بالزّنك، والرّصاص، ومنجم تنس الخاص بالنّحاس، ومن جهة أخرى فقد عرفت المنطقة انتشار بعض الصّناعات البسيطة لدى الخواص من بينها صناعة الحدادة، الّتي اشتملت على صناعة المحاريث وبعض الأدوات الفلاحيّة الأخرى، بالإضافة إلى البناء ولوازمه من مواد كالقرميد، والآجر، والإسمنت، يضاف إليها الصّناعة النّسيجية خاصّة مع توفّر مادّة القطن وتوفّر الأصواف والجلود، أمّا الصّناعات الّتي عرفت رواجا كبيرا هي الصّناعة الغذائيّة المرتبطة الزّراعة من بينها صناعة الخمور، والزّيوت النّباتية، والمنتوجات الحيوانيّة[38]

3-3- 4 التّجارة:

عرفت منطقة الشلف خلال العهد العثماني انتشارا للمبادلات التّجارية بين مختلف القبائل المجاورة، حيث كما رأينا سابقا أنّ كل قبيلة اشتهرت بإنتاج منتوج معيّن تقوم بتسويقه في الأسواق الأسبوعيّة، الّتي كان يرتادها تجّار من المنطقة ومن خارجها من أجل تسويق منتوجاتهم واقتناء ما يحتاجونه من سلع أيضا، ومن أهمّ الأسواق الّتي اشتهرت بها منطقة الشلف الوسطى سوق الخميس في الجهة الشّرقية لقبيلة أولاد قصير، سوق الأحد بمنطقة الأصنام، وسوق آخر بيوم الخميس بناحية واد سلي، كما كانت المبادلات التّجارية تجرى في يوم الأربعاء بقبيلة أولاد عبّاس. [39]

وفي فترة الاحتلال الفرنسي اهتمّت الإدارة الاستعماريّة بالنّشاط التّجاري، وذلك بتهيئتها لفضاءات تجاريّة لتسويق السّلع والمنتوجات المختلفة، حيث كانت هذه الأسواق إمّا أسبوعيّة أو موسميّة، لها أماكن معلومة ومحدّدة، وكان روّادها كبار التّجار يدفعون مبالغ ماليّة للأعوان القائمين على شؤون هذه الأسواق مقابل عرضهم للسّلع، والّتي كانت تتمثّل أساسا في الخضر والفواكه والحبوب والحيوانات وبعض المنتوجات المنزليّة والنّسيجية، حيث ضمّت أورليان فيل في وسطها سوقا كبيرا يأتي إليه النّاس من مختلف المناطق المجاورة للمدينة.

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830
المجلد السادس / العدد: الثاني
(جمادى الأولى 1444هـ/ ديسمبر 2022م)، ص 193– 216

ومع إنشاء خطّ سكّة الحديد العابر لأورليان فيل، فإنّ حجم المبادلات التّجارية قد عرف تطوّرا كبيرا باتّجاه وهران والعاصمة، والجدول التّالي يبيّن تطوّر حجم الحمولة الّتي عرفتها محطّة أورليان فيل بين 1938و1951م[40]

محطة اورليان	1939	1947	1948	1949	1950	1951
فيل/طن	18.050	18.780	25.084	21.918	28.556	30.274

4–التطوّر العمراني لمدينة أورليان فيل خلال القرن 19م:

بالرّجوع إلى مخطّط المدينة المؤرّخ في 12 سبتمبر 1848 نجد أنّ المدينة كانت في بدايتها عبارة عن مخيّم عسكري، على شكل مثلّث يتكون من شارعين رئيسيّين على شكل طولي أين يتقاطعان كذلك مع شارعين رئيسيّين بشكل عرضي، لكن بدون شك فإنّ مع مرور الوقت فإنّ هذا المخيّم العسكري سوف يتغيّر وتطرأ عليه العديد من التطوّرات العمرانيّة، خاصّة في النّاحية الشّرقية منه، أين عرف توسّعا ملحوظا، حيث زادت المساحة الأوّلية لمخيّم أورليان فيل، وهذا التوسّع لقي انتقادا شديدا خاصّة من طرف الطّبيب الرّئيسي في المخيّم ديسورتDUSSORT، بسبب وجود منخفض كبير بعمق 10 إلى 15 متر تطلّب مجهودات كبيرة لإخفائه، حيث فضل DUSSORTالتوسّع جنوب وشمال المخيّم [41]، ومن جملة العناصر المشكلة للنّسيج العمراني في مدينة أورليان فيل لدينا

4–1 السّور: سخّرت وزارة الحربيّة الفرنسيّة مبالغ ماليّة معتبرة، من أجل إقامة سور منيع يحمي مخيّم أورليان فيل من هجمات قبائل سنجاس وقبائل أولاد قصير، الّتي رفضت الوجود الاستعماري في المنطقة، فقد أقيم سور حصين مدعّم بخندق، هذا كان يحيط بالمخيّم من الجهات الأربع للمدينة، أين فتحت فيه مجموعة من الأبواب[42]

4– 2 الأبواب:

فتحت في سور المدينة أربعة أبواب على الجهات الأربعة، حيث نجد باب وهران يقع في الجهة الغربيّة للمدينة على الضفّة اليمنى لواد تسيغاوت، باب تنس ويقع في الجهة الشّمالية للمخيّم عند الضفّة اليسرى لواد شلف، أمّا باب السرسو فيقع إلى الجنوب، وأخيرا باب الجزائر العاصمة ويقع في الجهة الشّرقية للمدينة

لقد ساهمت هذه الأبواب المقامة على طول الجهات الأربعة لسور المدينة، في تسهيل حركة السّلع والضّائع من وإلى مدينة أورليان فيل، بالإضافة إلى دخول وخروج المستوطنين إلى المدينة والخروج إلى مراكز استيطانية أخرى أو الخروج إلى مزارعهم وحقولهم المتواجدة بمحاذاة المدينة إلى جانب ذلك سهلت دخول وخروج الجنود والعربات العسكريّة من وإلى المدينة[43]

4-3 الثّكنة العسكريّة:

أنجزت هذه الثّكنة في سنة 1853م، من أجل إيواء أكثر من 2.55 جندي، حيث أقيمت حجرات هذه الثّكنة بالحجر والإسمنت وتمّ تغطية الأسقف بالقرميد، ويعتبر هذا النّمط من البناء نمطا متطورا إذا ما قورن بالثّكنة العسكريّة، الّتي تمّ إنشاؤها في سنة 1834م، فقد كانت عبارة عن حجرات مغطّاة بألواح خشبيّة، مع حيطان مدهونة بطلاء زيتي

4-5 المستشفى العسكري:

عند تأسيس المخيّم العسكري أورليان فيل سنة 1843م، أسّس مستشفى عسكري، حيث كان عبارة عن خيم مصنوعة من جلود ووبر الجمال وجذوع النّخل وجريده، لكن في سنة 1845م تمّ إنجاز مستشفى عسكري عبارة عن حجرات بشكل طولي مغطّاة بشكل جيّد، قدرة استيعاب هذا المستشفى نحو 300 مريض.[44]

تمّ تجسيد المستشفى العسكري في الجهة الجنوبيّة للمدينة، إذ يتوسّط الحيّ العسكري للخيّالة، والحي العسكري للمدفعيّة

4-6 الحيّ الإداري:

ضمّ هذا الحيّ مكاتب أعوان الإدارة الاستعماريّة ومقر إقامتهم، وقد تمّ تجسيده في الجهة الشّمالية من المدينة على الضفّة اليمنى لواد الشلف، أقيم بجانبه مستشفى مؤقّت.

4-7 مقرّ القيّادة العليا:

ضمّ هذا المقرّ مكاتب كبار المسؤولين المدنيّين والعسكريّين في المدينة، تمّ بناء هذا المبنى في وسط المدينة، يقابله شمالا السّاحة العامّة، ويقابله جنوبا المستشفى العسكري، ويقع على يساره حي المشاة العسكرية، أمّا عن يمينه فنجد سكنات المدنيّين.[45]

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد السادس / العدد: الثاني
(جمادى الأولى 1444هـ/ ديسمبر 2022م)، ص 193– 216

4-8 السّاحة العامّة:La Place D'arme

أقامت الإدارة الاستعماريّة في مدينة أورليان فيل ساحة عامّة تتوسّط للمركز الحضري، مثلها مثل باقي المدن في الجزائر، جسّدت هذه السّاحة في الجهة الشّمالية من المدينة، إذ تتوسّط الحي المدني والمستشفى المؤقّت

4-9 جسر واد الشلف:

بهدف ربط مدينة الشلف مع المركز الاستيطاني للفيرمLa Ferme ، قامت السّلطات الاستعماريّة بمدّ جسر على واد الشلف، سمح هذا الجسر بمدّ الطّريق البرّي رقم 19 الرابط بين الشلف وتنس

4-10 المرافق العامّة:

بداية من سنة ، 1948م شرعت الإدارة الاستعماريّة في إقامة العديد من المرافق العامّة للمستوطنين على غرار الكنيسة، والسّوق المغطّى، والمدرسة، والفندق وغيرها من المنشئات المدنية إلّا أنّ الزّلازل المدمّرة، الّتي ضربت منطقة الشلف خلال العهد الاستعماري وبعد الاستقلال، هدمت ودمّرت كلّ المباني ولم يسلم من الدّمار إلّا النزر القليل.

5- خاتمة:

نستخلص مما بق تقديمه ان السياسة العمرانية الفرنسية في منطقة الشلف قد احدث العديد من التحولات والتغيرات الجوهرية في النسيج العام للمجتمع اقتصاديا واجتماعيا وعمرانيا ،الامر الذي انعكس سلبا على السكان المحليين ومن جملة تلك التحولات التي طرات نجد

– اخضاع قبائل المنطقة الى السيطرة الاستعمارية خاصة بعد انتهاء مقاومة الامير عبد القادر التي كانت منشرة في المنطقة وسقوط اهم المدن الاستراتيجية التي كانت تابعة للأمير بيد العدو كمدينة مليانة ومدينة تنس

– فقدان العديد من القبائل المحلية لاهم عقاراتها وممتلكاتها بيد العدو كقبيلة اولاد قصير وقبائل العطاف وقبائل سنجاس

-توافد العديد من الجاليات الاوروبية الى المنطقة وامتلاكها لاجود الاراضي واخصبها واستغلالهم للعنصر المحلي كخماسين في المزارع والمناجم

-بروز ملامح المدن الاوروبية في المنطقة من الناحية العمرانية والمعمارية على غرار مدينة اورليان فيل محل دراستنا في هذه الدراسة ومدينة افروفيل وغيرها .

6. الهوامش:

1 محمد حاج صادق، مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، د ط ، د م ج، بن عكنون، الجزائر، 1989، ص133.

2 عبد القادر حليمي، جغرافية الجزائر الطبيعية والبشرية والاقتصادية، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1968، ص12.

3 المرجع نفسه، ص 43،44.

4 Xavier yacono, La colonsation des plaines du chélif (de louer génie au conflient de mina), imp E. lembert, Alger, 1955, p70

5 ibid,p34.

6 يحي بوعزيز، من تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ط خ، دار البصائر للنشر والتوزيع حسين داي ، الجزائر، 2009، ص.196

7 سحنون سعيداني، الاستيطان في منطقة الونشريس والسرسو 183-1930، مذكرة ماجيستير معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2007-2008، ص .10

8 Djilali sari,l home et l'érosion dans l'Ouarsenis algérien ,S.N.E.D,alger,1977,pp129.130.

9 عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص ص 68،69.

10 المرجع نفسه، ص 72.

11 المرجع نفسه، ص 73.

12 Djilali sari ,op-cit ,p 19

13 أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، ط1، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص ص 41،42.

14 Djilali sari ,op-cit ,p 22.

15 محمد عيساني، الانعكاسات الاقتصادية والاجتماعية للاستيطان الاوروبي في حوض الشلف ،اطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة الجزائر 3 ، الموسم 2017-2018م، ص 20.

16 Xavier Yaccono,La Colonisation dans les plaines de chlef,T2 ,Imp E ,Lambert ,Alger ,1955,p76.

17 Renie Pentie,Souvenir De L algerie Ou Notice Sur Orleans Et Ténès, Im De Boucher Moreau ,Valanciennes,1850, Pp 13-14.

18 Marcel Emirit,L algerie A L éopque D abd-El-Kader,paris,1951, P 199.

19تشرشل هنري تشارلز،حياة الامير عبد القادر ،تر وتق وتع ابو القاسم سعدالله ،ش و ن ت ،الجزائر، 1982، ص 74-82 .

20 Jaques Leroy De Saint-Arnaud, Lettres du maréchal de Saint -Arnaud, Michel Lévy Frères- Libraire- Editeur, Paris 1855, Volume 2, p 19.

21 ibid,p21.

22 Renie Pentie,op-cit,pp13-14.

23 Xavier Yaccono , Les Bureaux dans l'ouest Du Tell Algerie Dahra ,Chélif ,Ouarsenis ,Sersou edition Larose Paris ,1953,pp76-79

24-ibid,pp136-144.

25 Paul Moati,Development Agricole ,Departement D orleansville,paris ,1959, Pp 06 -09.

26 Xavier Yaccono,La Colonisation,T1, op-cit,p p210-211

27 ibid,p225

28 Paul Azan ,Par L epee Et Par La Charue , paris,1948 ,p77.

29 Paul Azan,Conquette Et Pacification De L algerie, op-cit ,p166

30 Xavier yaccono, La Colonisation ,T1 ,op.cit ,p 259

31 ibid,p271.

32 ibid,272.

33 ibid,T2p206.

34 ibid,p226.

35 ibid,227

36 ibid,p228.

37 Lahouri Aadi , De L Algerie Precoloniale A L algerie Colonial , E N de livre, Alger , 1985,p127-128.

38 Lahouri Aadi ,op-cit, p 129-130

39 Xavier Yacono,La Colonisation,T1,op.cit ,p228

40 Ibid,T2,p247

41 ibid, ,p70

42 Ibidem

43 Ibidem

44 ibid,p78.